

وادي السلام في النجف

من أوسع مقابر العالم

بقلم محسن عبدالصاحب الظفر

المقدمة

النجف مدينة عامرة تحيط بمشرفها الامام علي «ع» فهي لهذا مدينة مشرفة تضم بين جوانحها الجسم الزكي الطاهر بسم امير المؤمنين علي «ع» ، وعليه فهي تحتل زعامة دينية كبرى ، جاءت الاجساد من بعد دفنه «ع» من كل حدب وصوب ، من بعيد وقريب لتلوذ الى جواره وتدفن قريباً منه فتنال بذلك شفاعه ، والذي حداني ان اكتب هذا عن مقبرة النجف امور كثيرة وكثيرة : منها ، اني لم اجد موضوعاً مستقلاً قد كتب عنها غير ان هناك كلمات قصيرة متناثرة هنا وهناك في كتب التاريخ ، مع العلم ان المقبرة هذه على وساعتها اثر بارز بالغ الاهمية في اقتصاديات المدينة ومكانتها الدينية . فراود ذهني ان اجوب بين اكنافها تارة وبين طيات الكتب تارة اخرى واسطر موضوعاً علته يفني بالمراد ، فبدأت باهتمام مفصلاً عن اثر صمت وهدوء المقبرة وما يحدث فيها من عمليات دفن وعادات توديع الموتى وتخفيف وحشتهم وغربتهم ، وقلت ان المقبرة في هدوئها وصمتها حكمة بالغة، وذكرت بعد ذلك شيئاً عن تاريخها ، وتساءلت عن اول انسان دفن فيها واول انسان دفن بعد علي عليه السلام ، وشكل المقبرة قديماً وحديثاً وبينت التطور الملموس في اشكال القبور، وستجدني قد وافيتك ايضاً عن السرايب التي تضمها المقبرة والمقامات المشرفة فيها وافصحت لك عن سر اختيار هذه البقعة مكاناً للدفن ، وسر تسميتها بوادي السلام . واوجزت شيئاً عن تربتها وهوائها ، والشارع المتلوي هل له من اثر في ظهور بنايات حديثة ، وستجد ان الموضوع وصف المقبرة وصفاً جغرافياً وتأريخياً وهناك في وسط الموضوع ونهايته مواضع فرعية تزيد في تكامله تقريباً هي :

- المداخل الرئيسية الى المقبرة :
- مراسيم التغميل والدفن .
 - المشتغلون فيها .
 - عملهم خدمة انسانية .
 - هل عملهم فيه شيء من احتكار .
 - العوائل المتفرغة للعمل فيها .
 - المقبرة مقسمة والاعمال كذلك .
 - الصحن الشريف ومشكلة الدفن فيه .
 - احصائيات .
 - لا بد من مشاكل .
 - النزاهة ضرورة لازمة .
 - الاموات الذين يودعون في الخارج ثم يجلبون -
 - الى النجف بعد حين من توديع .
 - المواصلات هل لها من اثر ؟
 - الدفن في سرايب المنازل .
 - الصخور المنحوتة الموضوعه على واجهات المقابر -
 - فن رائع عملته ايدٍ نجفية .

قلت ان مواضيع فرعية مثل هذه تزيد في تكامل الموضوع تقريباً حيث اني لم اكن قد تناولت جوانبه من كل الوجوه ولكني اذا وجدت مجالاً واسعاً فتاحاً انتهزه توسعت اكثر وان طال النقام ومن الله التوفيق .

المقبرة في هدونها وصحتها حكمة بالغة

عدت بعد ان امضيت وقتاً قليلاً في مقبرة تعد اليوم من اوسع مقابر العالم ان لم تكن اوسعها على الاطلاق ، عدت أتعثر لشروء ذهني وارتخاء اعضاء جسمي اثر خشوع دب في اوصالي ، كنت ارى قبوراً متزاحمة في اجوافها ناس نائمة ؛ نائمة الى يوم بعث وحساب اجسامهم كنفاً على كتف وهي واحدة ، ولكن ارواحهم سرها عند بارئها ، واعمالهم متباينة فمنهم من انتقل الى رحمة الله وجواره وبمشيئته حاملاً سجل اعماله مفعم بالصلاح وهو من المفلحين ، وآخرون دون ذلك بدرجات .

هدوء سائد مخيم على مقبرة ارجاؤها واسعة ، ترى هذا قبر قديم ، لرجل مات في زمان بعيد ، وهذا آخر بعد لم يجف ماء بنائه فهو حديث ، ومن بعيد سمعت بكاء وآهات امرأة تجري وراء رجل يحمل اخاها الى مخدعه الاخير وهي تنوح وتتعثر والحمال يجري مسرعاً لا يبالي ، وكأنه متمعداً يدري بأنه لا فائدة من التمهل ، ان الاسراع لتوريته في طيات الارض خير من بقاءه على سطحها ، فيتفسخ ويتعفن ، الانسان المغرور السذي يملأ الدنيا ضجيجاً فيملأها حلقات ودوائر من يقذف فيها الى ان يبلغ القاع فهداً ويستكين ، محبباً العودة اليها ليوارى فيها ويعود تراباً .

ومن بعيد ايضاً هناك ثلة من نساء في صراخ وبكاء ، فقد مر على فقيدهن اربعون يوماً بينهن النادبة الناعية - تدعى « الملا » - وبعد فترة وجيزة ينهضن ليكون حلقه يجلن في وسطها لاطمات من كن اقرب الى الفقيد صلة ، وبعد انتهاء تلاوة وانهاء دعاء توزع سكاير والحلوى على الجميع وتقرأ الفاتحة ، وبعد ذلك ترى الوجوه ضاحكة مستبشرة بعد عويل وبكاء ، وكأن الجميع يقولون حسب ما تبديده سمات وجوههم ، الموت حق ونتيجة لا مندوحة منها نتيجة حتمها الخالق على الاحياء في دار فناء وهو درب سلكه السابقون ولا مجال من سلوك الاحياء له ، فهم لاحقون وايم الحق لاحقون . وبينما انا في هذه الحال تراودني وتخالجي افكار .. وافكار في امر الدنيا وغرورها ومصير الانسان المحتم سمعت صوتاً ... مزق الصمت والوجوم ، جذبني اليه ، وهو قريب جداً قريب يقول : اللهم اترله منزلاً حسناً وانت خير المنزلين ... واذا اردت ان تسأل ما هذا ؟ كان الجواب عملية دفن انسان ودع الدنيا ، وهذا الرجل الواهن الجسم الكبير السن هو الملقن .. يلقن الموتى ويكسب رزقه .. واخذ الملقن يتلو ويذكر وانا في عالم الاسى واللوعة والافكار المتضاربة اخوض « هل انت على العهد الذي فارقتنا عليه - الملقن مستمراً - من شهادة لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً ﷺ عبده ورسوله وسيد النبيين وخاتم المرسلين وان علياً امير المؤمنين وسيد الوصيين امام افترض الله طاعته على العالمين وان الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والقائم الحجة المهدي صلوات الله عليهم ائمة المؤمنين وحجج الله على الخلق اجمعين وائمتك ائمة هدى ابرار ، يا فلان اذا اتاك الملكان المقربان رسولين من عند الله تبارك وتعالى وسألاك عن ربك وعن قبلك وعن ائمتك فلا تخف فقل في جوابهما الله ربي ومحمد ﷺ نبي والاسلام ديني والقرآن كتابي والكعبة قبلتي وامير المؤمنين علي بن ابي طالب امامي ... » ويستمر معدداً الائمة جميعاً مذكراً اياه بهم ... ثم يقول له بأن يجب على

وقبر آخر كتب على واجهته عبارات قيمة اغلبها باللغة العامية فيها عبرة وتذكير للأحياء من الناس وهي :

ايها الزائر قبري قف على قبري «شوية» (١)

واقراً القرآن عندي رحمة تنزل عليه
طالما زرت قبوراً وانا مثلك حيا
لا تغرنك حياتك انما الدنيا كفن

* * *

وآخر كتب على صخرته :

يا لك من ارض هي الأمان ، لمن بها والفوز والرضوان ، خط الياسمين وقد أرخته بها
ضريح ملؤه ريحان .

* * *

وآخر كتب على صخرته :

وفدت على الكريم بغير زاد
فحمل الزاد أقبح كل شيء
من الحسنات والقلب السليم
اذا كان الوفود على الكريم

* * *

وآخر كتب عليه .

رحلت من دار الفناء الى دار البقاء

محسن عبد الصاحب المظفر

ينبع

وادي السلام في النجف

من أوسع مقابر العالم

بقلم محمد عبد الصاحب الظفر

- ٢ -

وآخر كتب على صخرته :

قف على قبوري قليلاً ذاكراً من ربيع العمر يا مر الشباب

* * *

وآخر كتب على صخرته :

يا قارىء كتابي ..
بالامس كنت حياً .
ابكي على شباني
واليوم في التراب

* * *

وآخر كتب على صخرته :

بقربك لئدنا والقبور كثيرة
ولكن من يحمي الجواهر قليل

* * *

وآخر كتب على صخرته عند واجهة قبره :

ذهب العمر فأضحى حلماً
وشباني قد غلظ رهن التراب

* * *

وبناية كتب على واجهتها :

كل من عليها فان ، ولا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام .

* * *

وقبر آخر كتب على واجهته :
 بنيتم قـبري على الطريق
 ارجو الفاتحة من الصديق

* * *

وآخر :
 مودتي لأمير النحل تكفييني
 بعدموتي وتجهزي وتكفييني

* * *

وآخر :
 طينتي عجنت من قبل تكويني
 بحب علي فكيف النار تكويني

* * *

وآخر كتب عليه وعلى واجهات قبور امثاله كثيرة بعض هذه العبارات :
 هو الباقي ، هو الحي الذي لا يموت ، يا الله ، يا محمد ، يا علي .

* * *

وآخر كتب على صخرته هذه الآية :
 يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وادخلي في عبادي وادخلي جنتي

* * *

وعبارة اخرى كتبت :

قد ارتحل من دار الفناء الى دار البقاء وهذا قبر يبدو انه لفتاة غادرت الدنيا وهي في
 ريعان الشباب وعمر الورد ... تدل العبارات على لوعة الأم الرؤوم الشديدة وحزنها المرير
 على فقدانها ابنتها ، فلذة الكبد بل الكبد كله :

دعوني على ابنتي أبكي واندب
 فني القلب نار الفراق وتلهب
 وما كان ظني ان يفرق بيننا
 وسرعة هذا الموت ما كنت احسب

* * *

وتجد قبوراً كثيرة كتبت على واجهاتها عبارات حكيمية ومواعظ مأثورة وآيات وسور
 من القرآن وبالاخص سورة الفاتحة والاخلاص ، بينما تجد ان اغلب القبور كتب عليها
 هذا القول :

كل من عليها فان .. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .
 وفي جانب آخر من القبور هناك قبر يرقد فيه طيب شاب كتب على قبره :
 هاهنا يرقد في عفر الثري المعني وهب الطب حياة

والى جانب لحده لحد لشاب كتب على واجهته هذه العبارة :

برعم رف فيه ماء الشباب
قد جف لهف نفسي عليه

وهذا بيت من الشعر دون على واجهته قبور عديدة يذكر الناس بيومهم المحتوم وان طال العمر ، فلا مفر من حقيقة واقعة... حقيقة الموت والبيت هو :

كل ابن انثى وإن طالت سلامته
يوماً على آلة حدباء محمول
وقرات ايضاً على واجهات قبور كثيرة :

هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ..

وقرات في مجال آخر وعلى قبر يروي قصة موت صاحبه ، وكيف عاجلته المنية وداهمته الاقدار ، وهو ذاهب لقضاء حاجة ، وكسب معاش ، وكان ذلك وقت الظهيرة وهو قد أطل على فجر الشباب ، واذا بالشباب الشارخ بحيوته ، وغضارته ، ويفعه يغدو رهن تراب ويستحيل الى رميم ورفات ... وهو أثناء ذلك يرشد الاحياء من الناس ان يرعوا وعن غيبتهم ويطلب منهم كبح جماح جبروتهم ، وان لا يمشوا في الارض مرحيين وسلوك لا يرتضيه الله فعبارات وصف الواقعة هذه التي داهمت الشاب ترجى امن البرية والاتعاظ لعل في ذلك يشعر نصح ويفيد إرشاد :

وهذا قبر آخر امامي كتب عليه وكأنه هو الذي يتكلم :

فيا من قد ثوى في طي لحد
للك البشرى بجنات النعيم
وفاجتتك المنون بلا انتظار
ولا داء أمضى من القديم

وعلى قبر آخر دون ما يأتي :

هنا يرقد العبد المطيع لربه
وحياه رضوان النعيم مبشراً
بخير واحسان من الله يسعد
بجنات عدن والشفيع محمد
دعاه الى زهد الجنان مؤرخاً
شهيداً مضى للزهد عبد موحد

وهذا يقول وكأنه يتكلم :

قد انتقلت من دار المحنة والغرور .. الى دار الراحة والسرور .

ويا اخي القارىء تمنع معي الآن ما ينصح به هذا الشيخ المترف الذي ابهجتة الدنيا فلم
زرع لآخرتة قدر ما زرع لديناه يوم لا يتنع تدم حيث يقول :

يا قارىء الفاض السطور
انك الدنيا ودع فيها الغرور
اني كنت شيخاً كبيراً مترفاً
هاأنا اصبحت من اهل القبور

وآخر يرجو من الاحياء الفاتحة والدعاء له ولباقي الموتى المؤمنين الرحمة والغفران وهو

يروى طلبه هذا على طريقة « الآبودية العراقية » :

كلمن بود حيدر بنيته
على اليسقي من الكوثر بنيته
يخوتي على الدرب كبرى بنيته
رجائي الفاتحة من اليمر بيه

وقد رسم على واجهات بعض القبور او اني تدل على كرم الميت وطيب نفسه او تدل احياناً على العمل الذي كان يزاوله في دنياه ، فقد رسم او اني القهوة لتدل على حسن ضيافته وإبائه وشهامته او قد يرسم منجلاً ليدل على انه فلاحاً خدّم أرضه المعطاء فجاد وجادت بخير مغدق على مجتمعه فكان خير انسان للانسانية ولهنا فهو قد ودعها وهو مرتاح الضمير راض عن نفسه فعسى الله يرضى عنه ، او توضع على صخرة القبر ادوات الحدادة او البناء لتدل على العمل للمذي كان يحترفه الميت في حياته والى آخر ما يشبه ذلك . وكثيراً ما يذكر على واجهات القبور اسباب موت الذين انصروا تحت طياتها ، هذا دهس وهذا قتل وهذا سقط من فوق ، وهذا غار الى تحت في ماء فمات اختناقاً .

عزيزي القاريء ان تسمح لي في ان اعتذر فاني قد اطلت عليك المقام وأجهدتك قليلاً وانا لم اكن قد دخلت في صلب الموضوع الذي أريد تبيانه عن مقبرة النجف ولكن ربما اكتسبت عبرة ، وانا لا أريد ان اورث في نفسك شيئاً يقال له التشاؤم وترك المرح ، المرح الذي هو ضرورة لرفاه النفس ونبراس سعادتها ، ولكني وصفت لك خلجات جالت في ذهني وانا ادلف اوسع مقبرة تضم رفات اناس عديدين كانوا احياء مثلنا ، ودونت لك ما دون على واجهات قبورهم . اذن فلنتمهل ما دمنا زائلين ، ولنتعاون ونستفيد من دنيانا ونفيد ونخلد ذكرى حسنة ما دمنا سنكون في هذا الكون نسياً منسياً ، فلنسر على الأرض بخطوات متزنة ما دمنا منها وسنعود اليها ، نعمل ونمرح عليها باتزان ولياقة حسب ما ترتضيه الاخلاق وتبتغيه المثل العليا .

أما الآن فدعني اعود واقول كما بدأت مقبرة النجف بل وادي السلام في هدوئها وصمتها
حكمة بالغة .

المقبرة في التاريخ

ان تاريخ هذه المقبرة يبدأ من بعد كشف قبر الإمام علي «ع» ، فحين خرج الرشيد ذات يوم - كما تنص على ذلك كتب التاريخ - الى ظاهر الكوفة يتصيد ، وهناك حمر وحشية وغزلان فكان كلما التي الصقور والكلاب عليها لجأت الى كتيب رملي هناك فترجع عنها الصقور والكلاب فتعجب الرشيد من ذلك ورجع الى الكوفة وطلب من له علم بذلك فأخبره بعض شيوخ الكوفة ، انه قبر امير المؤمنين علي «ع» فأمر هرون الرشيد فبنيت عليه

قبة وأخذ الناس زيارته ودفن موتاهم جواره (١) ومن هنا يبدأ تاريخ المقبرة هذه التي اتخذت هذا المكان بالذات ويقدر عمرها بـ (١٣٥٠) سنة تقريباً منذ بدء تكون الغواطة لها .
وروي ان امير المؤمنين ، في حياته نظر الى ظهر الكوفة ، فقال : ما أحسن منظرك وأطيب قعرك اللهم اجعله قبري (٢) .

وروي ايضاً ان امير المؤمنين «ع» كان اذا اراد خلوة بنفسه اتى الى طرف الغري فبينما هو ذات يوم هناك مشرف على النجف ... وإذا برجل قد أقبل من البز ركباً على ناقته وقدامه جنازة . فحين رأى علياً «ع» قصده حتى وصل اليه وسلم عليه ، فرد عليه السلام وقال له : من اين ؟ قال : من اليمن . قال : وما هذه الجنازة التي معك ؟ قال : جنازة والدي اتيت لأدفنها في هذه الأرض . فقال له «ع» : لم لا تدفنه في أرضكم ؟ فقال : اوصي الي بذلك وقال انه يدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال له «ع» : أتعرف ذلك الرجل قال : لا ، قال علي «ع» : أفاد الله ذلك الرجل قم فادفن أباك (٣) .
ويذكر انه بسبب تواتر الأخبار عن فضل هذه البقعة المقدسة وانتشار صيتها في حياة أمير المؤمنين «ع» فعليه يكون قد دفن اناس كثيرون قبل ان يدفن فيها مشرفها «ع» (٤) .

لماذا سميت بوادي السلام

قد يكون اسم المقبرة او عنوان المقال داع لسؤال ومحرض على استفسار لماذا دعيت بهذا الإسم « وادي السلام » ؟ اسلام فيها يسود احياء يدبون بين اكنافها يعملون ويرجون نيل مغفرة ويترحمون لمن سبق ، ام سلام وامان يسود من وري ضمن طبقاتها ؟ الاخبار المتواترة تذكر وتؤكد وهي خير جواب في كون مقبرة النجف هي مجمع وسبع الرقعة لجميع ارواح المؤمنين ، ومزبة اخرى مدعاة لاطمئنان وسلام هي رفع حساب عن دفن فيها ، لا شك بقصد تخفيف عقاب لمن استجار وجاور . وتروي كتب التاريخ . ولتسند ما روت غرض تأكيد وللقول تسديد ، ان وادي السلام بمعنى « وادي السلامة » انه آمن من كل آفة من آفات الأرض وحشراتنا كل هذه الامور مجتمعة سبيل لأمن يرجوه مودعي الدنيا ينال في وادي السلام والاحياء الذين يزورونها يجدون ما يجدون من سلام وامان فكل من دخلها دخل قلبه الخشوع والرهبة رهبة من مصير محتوم فمنهم من يترحم ومنهم من يستغفر محسن عبد الصاحب المظفر

(١) كتاب الانوار الحيقية والتعاقب الامامية (مطبعة هور بمبئي سنة ١٣٤٦) « لشيخ العراقيين عبد الرضا آل كاشف الغطاء النجفي » .

(٢) راجع كتاب سفينة البحار ١ ، ٢٠١ .

(٣) ارشاد القلوب - للدليمي ص ١٧٣ وراجع سفينة البحار جزء ١ ، ٢٠١ ايضاً .

(٤) راجع ص ٢٣٤ - ٢٣٥ من كتاب ماضي النجف وحاضرها للمرحوم العلامة المؤرخ جعفر محبوبة

وادي إسلام في النجف

من أوسع مقابر العالم

بقلم محمد عبد الصاحب الظفر

- ٤ -

تربة المقبرة وهو أوفها ومزية الدفن فيها

تربة المقبرة تربة رملية نقية ناعمة ، هذا ما يخص القسم الأعلى منها اما القسم الذي يلي ذلك بحوالي عشرون سنتيمتر ، عبارة عن منطقة صخرية متكونة من صخور رملية قوية تسمح لحفر اللحد فيها بصورة عمودية ، وتسمح لإدخال الإنسان وتوديعه في مكان قد حفر بصورة أفقية وبطول المتوفي . وقد تبقى الصخور والتربة محافظة على تماسكها ولكن بعد مدة ينهدم ما يحيط بالتجويف الأفقي الراقد فيها المتوفي فتضيع معالم التجويف .

وتتصف المقبرة بالجفاف التام ، لأنها جزء من المنطقة الصحراوية الجافة . فهي لهذا بقعة ذات رمال وصخور رملية نقية جافة لا تظهر فيها أية رائحة مما نسميها بالعفونة او ما يدل عليها . والحقيقة ان الكثير من اهالي النجف يتركون المدينة وازقتها الضيقة وشوارعها المزدحمة الصاخبة بضجيج الناس والسيارات ، ليتجولوا خلال شارع المقبرة المتوي ، او بين القبور ، ويشموا هواءها الزكي العذب من فضائها الرحب .

وقد قيل ان من خواص تربة المقبرة اسقاط عذاب القبر وترك محاسبة منكر ونكير للمدفون فيها ، كما وردت في الأخبار عن اهل البيت «ع» (١) .

وفي باب ذكر خصائص ذكر المدفن في النجف وحشر الأرواح فيه قال العلامة

(١) ارشاد القلوب ص ٤٣٥ ج ٢ ،

الجلسي طيب الله ثراه في مزار البحار : ومن خواص الحرم الشريف ان جميع المؤمنين يجشرون فيه (١) .

وقد وردت اخبار كثيرة في انه بين النجف والكوفة ، يكون الأموات قعود يتحدثون على منابر من نور .

وعن عبادة الأسدي عن حبة العرني ، قال خرجت مع امير المؤمنين علي «ع» الى الظهر فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب الأقسام ، فقامت بقيامه حتى اعيتت ثم جلست حتى مللت ثم قمت وجمعت ردائي فقلت يا امير المؤمنين اني قد اشفتك عليك من طول القيام فراحة ساعة ، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال : يا حبة ان هو الاحادثة مؤمن او مؤانسة قال : قلت يا امير المؤمنين وانهم كذلك قال : نعم ، ولو كشفت لك لرأيهم حلقاً حلقاً محاسبين يتحدثون ، فقلت : اجسام ام ارواح ، فقال ارواح ، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض الا وقيل لروحه الحقي بوادي السلام ، وانها لبقعة من جنة عدن (٢) .
فما من مؤمن في شرق الأرض وغربها الا وقد خوطبت روحه للالتحاق والانحشار مع الأرواح المؤمنة الخيرة ، في وادي السلام ، وما عليها الا ان تلي النداء ، نداء الخالق الجليل .

وبالإسناد الى الأصبع بن نباتة رحمه الله قال خرج امير المؤمنين «ع» الى الكوفة فلحقناه فقال سلوني قبل ان تفقدوني ، فقد ملئت الجوانح مني علماً ، كنت اذا سئلت اعطيت واذا سكت ابتدأت ثم مسح بيده على بطنه وقال : اعلاه علم وأسفله ثقل ، ثم مر حتى اتى الغريين فلحقناه وهو مستلقي على الأرض يجسده وليس تحته ثوب ، فقال له قنبر يا امير المؤمنين الا ابسط تحتك ثوبي ؟ قال : هل هي الا تربة مؤمن ومزاحمته في مجلسه ، فقال الاصبع تربة المؤمن قد عرفناها ، فما مزاحمته في مجلسه ؟ فقال يا ابن نباتة لو كشفت لكم لأفئتم أرواح المؤمنين في هذه حلقاً حلقاً يتزاورون ويتحدثون ان في هذا الظاهر روح كل مؤمن .
فبحسب روايات المحدثين الكبار عن الأخبار المروية بأن تربة النجف لفضلها وعظيم شأنها ، قد اشترها ابراهيم الخليل «ع» كما جاء ذلك في معجم البلدان (٣) .
وكذلك (٤) جاء ما رواه ابو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي

(١) ارشاد القلوب ص ٤٢٦ ج ٢ ، راجع مزار البحار ص ٧٩ - ٨٠ ايضاً .

(٢) مزار البحار ص ٨٠ .

(٣) راجع كتاب مشيد الامام ار مدينة النجف محمد علي جعفر التميمي ج ١ ص ٩٠ .

(٤) فرحة النري ص ٢٠ لابن طاروس .

الحسيني في كتاب فضل الكوفة باسناد رفعه الى عتبة بن علقمة ابي الجنوب ، قال : اشترى امير المؤمنين علي «ع» ما بين الخورنق الى الحيرة الى الكوفة من الدهاقين بأربعين الف درهم وأشهد على شرائه قال : فقيل له يا امير المؤمنين تشتري هذا بهذا المال وليس ينبت حطبا فقال سمعت من رسول الله ﷺ يقول كوفان برد اولها على آخرها يحشر من ظهرها سبعون الفاً يدخلون الجنة بغير حساب واشتهيت ان يحشروا في ملكي .

وفي ارجوزة السماوي « عنوان الشرف في وشي النجف الفصل الثاني ص ١٤ » في ان المدفون بها آمن من عذاب البرزخ .

ثرى به آمن عذاب البرزخ من حيث جيء فرسخاً في فرسخ
فان من يدفن خلف الخندق عند علي لم يخف مما لقي

وورد في كتاب مشهد الإمام (١) ما كتبه الفاضل ملا مهدي المعروف بالترافي الى العلامة


آل بحر العلوم (ره) .

ألا قل لسكان أرض الغري هنيئاً لكم في الجنان الخلود
افيضوا علينا من الماء فيضاً فنحن عطاشى وانتم ورود

فأجابه العلامة (ره) :

الا قل لمولى يرى من بعيد ديار الحبيب بعين الشهود
لك الفضل من غائب شاهد على حاضر غائب بالصدود
فنحن على الماء نشكو الظما وفزتم على بعدكم بالورود

فإنك وان كنت غائباً عن أرض الغري ولكن كنت بحكم الحاضر لأنك تحب المجاورة . فلا ازيد اكثر مما بينت وبينت هذه الروايات التاريخية المسندة عدا فضل هذه الأرض ومزية الدفن فيها ، وما لها من الجلالة والقدسية من رونق يضيء على النفوس الحية ايما اجلال لها واعتزاز بها ، كبيت للجميع ودار للبقاء بعد ترك دار الخراب والغرور والفناء .

المقامات والمراقدا المشرفة التي تضمها المقبرة -

في جوانب عدة من المقبرة تشاهد مقامات ومراقدا مشرفة بارزة في بنائها الضخم وقبها الرائعة ، ومكاتها البالغة من قلوب الزائرين الذين يؤمون النجف في كل حين ، وما المقام الا مكان وقف فيه او قعد طلباً لراحة ، او ركع فيه او سجد ابتغاء لمغفرة ، نبي او امام فقامت لمقامه الذي لم يستمر الا فترة وجيزة ، بناية تبقى مر الزمان تدار وتزار ، وما انا اوجز شيئاً عن بعضها :

(١) مشهد الامام ار مدينة النجف محمد علي جعفر التميمي .

مقام المهدي «ع»

هناك في مكان رحب ليس بالقصي مقام للقائم المنتظر «ع» يأخذ مجالا وسطاً من المقبرة حتى انه كان ولا يزال داراً لطلاب استراحة ومسجداً لمن دأبه وقت فريضة لله واجبة ، ومنتدى لقصاد وادي السلام ، فيه تعقد النسوة حلقات الحزن ليجلن لاطمات نادبات موتاهن في فنائه الوسيح .

ما بينه وبين الشارع المتوي المارق خلال الوادي والمنصف له تقريباً ، مجال قصير من قبور ، بينها طريق فرعي ملتوي ضيق موصل بين المقام والشارع العام . والمقام تغلوه قبة زرقاء في جانبه الشرقي ، ومقام القائم بالحق ، يدار برعاية وعناية تفرغت لخدمته ، وقد خصص كنف من اكنافه لحزن ماء يرتوي به كل من ساغ له ان يشرب ، فزأروا الوادي والعاملون فيه كثيراً ما يدفعهم العطش صوب المقام للارتواء من مائه العذب و احياناً النوم والتفيء في ظلال بنائه الوارف .

وفي الأعياد وليالي الجمع يكون المقام العامر والمسالك المؤدية اليه زاخرة بالناس الذين اعتادوا في مثل هذه الأيام زيارة القبور والترحم لارواح المؤمنين وقراءة الفائحة على ارواحهم ومن بعد ذلك طلب مغفرة وهداية ، وحين تجنح الشمس الى المغرب ينهي الناس ما ارادوا من زيارة وسلام ، ليعودوا جميعاً زرافات ووحداً للمدينة .

مرقدا هود وصالح «ع»

وعن يمينك في يده ذهابك نحو مقام المهدي «ع» ان حانت منك التفاتة ، لشاهدت بناية عامرة بارزة تخرج من وسطها غصون شجيرات نضرة .

والأخبار تذكر وتكرر لتؤكد ان الرسولين هوداً وصالحاً قد دفنا في هذا الحيز من ارض النجف وضمن المقبرة الكبرى فإن صح ذلك وتأكد بالأسانيد والأدلة تكون لنيابة القائمة المذكورة بالرسولين المصلحين اللذين بعثهما الله كسائر الأنبياء لصلاح سكان الأرض وارشادهم ، تضم رفاتهما الطاهر .

ومن الناس من لاذ في مرقديهما وتفرغ بادارتهما وكل ما يتعلق بخدمتهما من كس فناء وتنظيف جدران وتصليح وترميم . وكثيراً ما شاهدت بعض الزائرین يؤدون صلاة الظهر في فنائه الظليل .

واذا اردنا ان نتصفح الأخبار الواردة في اثبات موضع قبريها عليهما السلام ، لوجدنا في كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي ، ان اخباراً تناقلتها الرواة عن بعضهم البعض عن ابن نباتة قال : خرجنا مع امير المؤمنين «ع» الى نخيلة فاذا اناس من اليهود معهم ميت لهم

فقال امير المؤمنين «ع» للحسن : انظر ما يقول هؤلاء في هذا القبر ، فقال : يقولون : هو هود «ع» ، فقال : كذبوا ، انا اعلم به منهم هذا قبر يهودا بن يعقوب ، ثم قال : من ههنا من مهره ؟ فقال شيخ كبير : انا منهم ، فقال له : اين منزلك ؟ فقال : في مهرة على شاطئ البحر . فقال : اين هو من الجبل الذي عليه الصومعة ، فقال : قريب منه ، فقال : ما يقول قومك فيه ؟ فقال : يقولون : قبر ساحر ، فقال : كذبوا ، انا اعلم به منهم ، ذلك هو قبر هود وهذا هو قبر يهودا .

وكتاب بحار الأنوار يفصح عن مدى الاختلاف فيما ورد من أخبار مع ورود في مزار البحار من اخبار اخرى في بيان الموضوع نفسه . والأخبار الواردة الكثيرة بعضها يُذكر عن امير المؤمنين علي «ع» ، وان قبر هود على تل من الرمل الاحمر بحضر موت ، وقيل انه دفن في مكة في الحجر ، والأخبار الواردة في مزار البحار تدل على انه دفن قريباً من امير المؤمنين «ع» في الغري ، ويرى بأنه يمكن الجمع بحمل هذا الخبر على الموضوع الذي دفن فيه اولاً ثم نقل الى الغري كآدم عليه السلام .

وعن ابي مطر قال : لما ضرب ابن ملجم لعنه الله امير المؤمنين «ع» قال له الحسن : اقلته؟! قال : لا ، ولكن احبسه فاذا مت فاقتلوه ، واذا مت فادفوني في هذا الظهر في قبر اخوي هود وصالح «ع» (١) .

وفي ماضي النجف وحاضرها (٢) ، «في جبانة النجف على الجهة الشمالية من البلد الاشرف قبر للنبي هود «ع» والنبي صالح «ع» وهو من القبور المعلومة والمقامات المشهورة عليه قبة يتبرك بها ، وتزار شيدت في عصر العلامة الخبير السيد بحر العلوم (ره) وهو الذي أظهره وبنى عليه قبة من الجص والحجارة ولم تزل باقية حتى اتى رجل من اهالي ايران فهدم تلك البنية وبنى عليه قبة مغطاة بالحجر القاشاني» .

وفي ارجوزة السماوي في الفصل الثاني ص ٥ (٣) في زيارة الانبياء «ع» في النجف الاشرف مشيراً الى قبور الانبياء .

وجاء نوح بعد فيض العالم	الى الغري في عظام آدم
ثم هو اختار الغري مدفناً	لعله بدفن حيدر هنا
واختار ذاك صالح وهود	وليس ما تزعمه اليهود
فان هوداً عندهم ذو الكفل	فأوضح الحق وصي الرسل

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ٣٧٩ . (٢) ماضي النجف وحاضرها ص ٦٦ .

(٣) راجع كتاب مشهد الامام محمد علي جعفر التميمي ص ٩٠ .

عند ذهابه الى صفين واعلن القبرين بالتعيين
ففي زحمة الاخبار المتواترة والروايات الواردة نلمس تناقضاً وتضارباً جلياً ، وقد
يشرف المؤرخ على نتيجة يستنبطها من الروايات والأخبار التاريخية المتباينة في امر واحد
ليتخذها كأساس يقربه صحة الامور ، فيضع كل امر في نصابه الراجح بمنطقه وامكان تعقله
حسباً تقرأ تسلسله احداث وماجريات الايام السالفة .

- مراقد ومقامات اخرى -

- هناك مراقد ومقامات كثيرة اخرى تضمها المقبرة ، ففي الطرف الجنوبي الغربي من
المقبرة مثلاً ، مقام للإمام زين العابدين عليه السلام يزوره الناس في كثير من الأوقات .
ففي محلة العمارة من جهة غروب الشمس مقام يعرف الآن بمقام الامام زين العابدين عليه
السلام ويروي بأن السجّاد كانت اقامته في هذا المقام اثناء زيارته لمزقد جده الإمام
الأعظم علي عليه السلام .

وللامام السجّاد مقاماً آخرأ ملاصقاً للصحن الشريف من الجانب وقد ضاعت آثاره
بفتح الباب الغربي للصحن الطاهر (١) .

ومراقد اخرى لرجال اخيار دفنوا في المقبرة ، وبنيت لهم مقابر عالية يزورها الناس
للتبرك ، وكثيراً ما يحصل الناس على ما يرجوه بزيارتهم لتلك المراقد من خير وبركة وشفاء
يأتي نتيجة اعتقادهم المتأصل الراسخ في انه ليست هناك اية خيبة في طلب رجوه من اي
رجل صالح راقد الى جوار ربه ، وبعض من الناس يرد الجميل بطعام يوزعه عند مرقد
او مقام الذي اسداه . والحناء وطلبها على ابواب المراقد والمقامات او عليها امر جاري
تؤديه النساء ، قد اعتدن عليه .

- سراديب الدفن التي تحتويها المقبرة -

السرداب حفر واسع وعميق يحفره الانسان عمودياً في الأرض ثم يبني له جدراناً وسلاماً
واخيراً يسقفه بعد ان يترك له فتحات لدخول النور والهواء ، وسراديب الدفن في مقبرة
النجف هذه كثيرة جداً والظاهر انها تتكشف قرب الشارع المتلوي ، وفي الأماكن التي يكثر
عليها الذهاب والاياب .

ويتراوح عمقها ما بين الثلاثة امتار او اربعة او عشرة حسب مقدرة الطالب ، وعادة
تضم هذه السراديب اموات العائلة التي عملت مشتركة او غير ذلك على تشييدها ، ويمكن
وصف هذا النوع من السراديب بأنها تتكون من طابقين او ثلاثة طوابق وكل واحد من

هذه الطوابق يضم صفاً من اللخود التي يبلغ عددها في كل صف حوالي الخمسة او الثمانية .
وبعض السرايب المخصصة للدفن عميقاً جداً واللخود فيها ضمن جدرانها، اما ارض السرداب
مبلطة كفناء او ساحة ، او قد يدفن فيها احياناً .

ومن السرايب ما هو مسقوف سقفاً عادياً ، بينما بعضها بنيت عليها بنايات عالية تضم
عدة غرف ، هي مكان يجلس فيه الزائرون من ذوي الفقهاء واصدقائهم ، وتعزل عادة
غرفة خاصة بالرجل الملازم للبنية ولقارئ القرآن يوماً عند القبر ، بأجور زهيدة .

ومن السرايب ما بقي مهجوراً دون بناء وقد يكون خطراً على الزائرين اثناء تجوالهم
في المقبرة .

اما الفتحات التي خصصت في داخل السرداب لتكون لحوذاً ، تكون بمجموعها ما
يشبه خلية النحل تغلق كل فتحة بعد ان يدفن فيها انساناً . وهذا النوع من السرايب
او القبور شائع في مقبرة النجف . وقد زاد الميل الى حفر وبناء السرايب من قبل كثير من
العوائل المتمكنة في الآونة الاخيرة ، بشكل منقطع النظير حتى غدا عددها يبلغ المئات
قديمها وحديثها .

هذا الطراز من القبور والإكثار منه يمكن تبريره بعدة امور منها زيادة وصايا الذين
قرب اجلهم بأن يدفنوا في السرداب مثلاً ، وشيء آخر هو رغبة الاحياء في حفظ قبور
امواتهم من الاندثار ولتكون السرايب بنفس الوقت مرقداً معداً لهم يدفنون فيها بعد
موتهم ، وهذا يعلل لنا ، لماذا كثرت السرايب في الاجزاء المهملة التي يكثر الدوس عليها
بسبب ذهاب واياب الناس وبالاخص عند المجال الواقع ما بين نهاية شارع الطوسي ومقام
المهدي «ع» ، فانك تجد السرايب متقاربة مزدحمة .

اما تكاليف حفر وبناء السرداب الواحد تتفاوت وتفاوت سعة السرداب المراد حفره
وبناءه وعدد لحوده ، وشكل وارتفاع البناء الذي يطلب احياناً تشيده فوق السرداب، فهي
تتراوح ما بين ١٠٠ - ١٠٠٠ دينار .

الدفن في المنازل

يمكن ان يستنتج المرء بأن الاكثرية من منازل مدينة النجف مبنية على قبور قديمة لان
الارض التي تحيط بقبر علي «ع» كانت مكاناً للدفن ، ثم اختط بعضها منازل للسكنى . وقد
ذكر لي البناؤون بأن كثيراً من منازل النجف القديمة التي هدموها لغرض اعادة بنائها من
جديد والشروع بحفر سرايب جديدة لها يتخلص بها ساكنيها من حر الصيف وهوائه اللافح
وجدوا في الارض لحوذاً ورميماً .

والدفن لا يزال جار في كثير من المنازل ، ويتم ذلك بأن يعزل صاحب الدار حيزاً من داره يكون مقبرة له ولعائلته وكثيراً منهم يحفر سرداباً خاصاً فيه ويبني فوقه قبة ، بينما يجعل البعض مقبرته منفصلة عن منزله ، لتكون اشبه ما تكون بالمسجد ، والذي ينظر من فوق مرتفع او سطح عال ، الى مدينة النجف يشاهد قبة خضراء وزرقاء متناثرة واكثرها من جانب المدينة العربي « محلة العمارة » حيث تبرز هذه الظاهرة وقد ادى فتح الشوارع الجديدة الى هدم وطمير كثير من سراديب الدفن في المنازل .

واعتقد ان الدافع الذي دعا بعض الاشخاص وحثهم على ان يوصوا في حياتهم بأن يدفنوا في منازلهم بعد موتهم ، هو رغبتهم في دوام قبورهم وتخلصها من الاندثار الى امد بعيد جداً ، وقد يضاف الى ذلك رغبتهم في ان يكونوا بين ظهرائي ذويهم ، وفي كنف من دارهم ، وربما يرون في ذلك وهم احياء انهم اذا ماتوا ودفنوا في قعر دارهم ، خفت الوحشة ، ووحشة القبر ووحشة الفراق .

قد تكون في هذه الخوارج المؤدية الى توصية الذين قرب افولهم للدفن في منازلهم ، بعض محاسن ، غير ان مساوىء الدفن في المنازل اكثر من محاسنه ومنافعه ، فالأب يداعب اطفاله في المساء ، وعائلته جميعها في هدوء وراحة وهناء ، ولا يعلم احد في اجله ، وحدث بأن داهمته المنية وعاجله الموت ، ففارق الدنيا ومحبيه ، ودفن في قعر داره . فان افراد العائلة الذين فقدوا اعز مخلوق لديهم كان بينهم حياً فصار بينهم ميتاً ، يتجسم شبحه لهم على الدوام لانه لم يغادر عقر دارهم ، فربما يحل بذلك الرعب والملح والوساوس او قد تتولد عقد نفسية لدى الصغار والكبار تعكر عليهم صفو حياتهم ، ذلك الصفو الذي بنى أساسه النسيان ، والنسيان لذة ودعامة لنشاط الانسان ومضيه في بناء مدينته وتقدمه . وعلى كل حال ارى الدفن في المنازل وسراديبها امور غير مرغوب فيه .

الصحن الشريف والدفن فيه

كانت ارض الصحن وعرة لكثرة ما فيها من قبور ومحاريب وكانت سائر المحاريب ظاهرة على وجه الارض وفي سنة ١٢٠٦ طمست ساحة للصحن وعملت السراديب الخاصة بالدفن ، وبلطت ارض الصحن بالصخر المورم ، والتصليحات في ساحة الصحن جاربية والدفن فيه جار لحد الآن (١) .

وفي سور الصحن الرباعي عدد من الايوانات في كل ايوان حجرة ، اعدت لتكون مقبرة وقد دفن عدد كبير من المشاهير في هذه الحجرات . يتبع محسن عبد الصاحب المظفر